

الدكتور الياس زين ، هجرة الادمغة والهجرة المضادة من إسرائيل
(سلسلة دراسات فلسطينية ، رقم ٧٩ ، مركز الابحاث في منظمة التحرير
الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١)

من الطلاب الذين يتوجهون الى اميركا للدراسة
يقعون فيها دون ان تدرج أسمائهم في سجلات
النزوح . بل ان العدد الاكبر من النازحين يكتم
تصدده عن الجبجج لاسباب شخصية او اجتماعية .
ولهذا كانت المراجع والدراسات حول موضوع
الهجرة الاسرائيلية قليلة او نادرة ، وكانت
المعلومات التي تنشرها الدوائر الرسمية
والصحافة في اسرائيل عن عدد النازحين متضاربة .
وازاء هذه الصعوبات أحجم معظم الباحثين عن
معالجة الموضوع . غير ان الدكتور الياس زين
صمم على التصدي له وأصبح - بعد نشر أبحاثه
المتعددة عن الهجرة والنزوح في اسرائيل والقطار
العربية - من الاختصاصيين المرموقين في هذا
الحقل . وفي كتابه الصادر عن مركز الأبحاث يعالج
مسألة النزوح الاسرائيلي من زاويتين : هجرة
الادمغة ، وهي تتعلق بنوعية المهاجرين ، والهجرة
المضادة العادية ، وهي تتناول مجموع النازحين
العاديين .

في القسم الاول من الكتاب يعالج المؤلف هجرة
الادمغة التي تعتبر من أخطر المشاكل التي تواجه
اسرائيل ، والتي استغل أمرها خلال اندلاع
الازمة الاقتصادية في أواسط الستينات . وكان لها
أسوأ الأثر في نفوس الاسرائيليين . ومع ان هذه
المشكلة ليست وقتا على اسرائيل (باعتبار ان كل
الدول النامية وبعض الاقطار المتقدمة تشكو منها) ،
فان لتفاتها في اسرائيل وقتا او معنى خاصا : ان
اسرائيل كيان قائم أساسا على الهجرة وعلى
استنزاف الادمغة في الدول الأخرى ، وكل نزوح
منها لاصحاب الكفاءات العلمية لا يمكن ان يفسر
الا انه نكسة لتجربة هذا الكيان واضعاف لمعنويات
اليهود وأحباط لمشاريع الإنماء والتوسع فيه .

ويستعرض المؤلف هجرة الادمغة بالارقام ، ويبين
اسبابها والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل
لحاربها أو الحد منها ، في الداخل والخارج .
فقد أعارت اسرائيل هذه المشكلة اهتماما بالغا
ووضعت تدابير مختلفة وابتكرت وسائل جديدة
لجابهتها وحث النازحين على العودة . لقد أدركت
ان هجرة العلماء منها خسارة لا تعوز ، وهدر
للمال الذي أنفقته على تعليمهم وتدريبهم ،

تعتبر الهجرة اليهودية الى فلسطين من الاهداف
المرحلية المهمة التي سعت الحركة الصهيونية الى
تحقيقها . ولولا الهجرة اليهودية الكثيفة لما تام
الكيان الاسرائيلي . ولولا تدفق المهاجرين بعد
عام ١٩٤٨ لما تمكن هذا الكيان من الاستمرار في
البقاء . ولهذا اكتسبت مسألة الهجرة أهمية بالغة
لدى الاسرائيليين ، فاعتبر بن غوريون « ان بقاء
اسرائيل يعتمد فقط على توفر عامل الهجرة
الواسعة » ، ووجد أشكول « ان حق الحركة
الصهيونية في الحياة يعتمد على نجاحها في مجال
الهجرة » ، وأدرك ناحوم غولدمان « ان مستقبل
الصهيونية العالمية يقوقف على سياسة الهجرة
اليهودية الى اسرائيل خلال العشر سنوات
القادمة » .

وبما ان اسرائيل تعتمد كل الاعتدال على الهجرة
فان أية حركة نزوح منها ، يقوم بها أولئك الذين
هاجروا اليها أو أولئك الذين ولدوا فيها ، كتيبة
بإثارة الطلق في أواسط الرأي العام الداخلي
وباحداث أثر عكسي سلبي في نفوس يهود الخارج
المرشحين للهجرة الى الأرض المحتلة . وبما ان
اسرائيل ، لدى انهاكها بتنظيم الهجرة ، تحرص
على استقطاب النخبة واجتذاب الصنوة من
الفنيين والاختصاصيين فان أية محاولة لهجرة
الادمغة منها تشكل خطرا على مستقبلها .

وموضوع الهجرة الى اسرائيل والنزوح منها ليس
بالامر الذي يعني ويؤرق جفون الاسرائيليين فقط ،
بل هو يعيننا نحن كذلك ويجب أن يحظى منا بكل
عناية واهتمام . ففي كل مرة يهاجر فيها يهودي
الى اسرائيل يزداد عدد البنادق المصوبة نحونا
ويتضاعف عدد الادمغة والايدي التي تعمل ضدنا .
وفي كل مرة ينزح فيها يهودي من اسرائيل يخف
العبء عنا ويصابون هم بخيبة الأمل في تأمين الأمن
والاستقرار .

ودراسة الهجرة الاسرائيلية ، ولا سيما هجرة
الادمغة من اسرائيل ، مهمة شاقة . فاسرائيل
تحيط هذه المسألة بالصعوبات وتحرص على إخفاء
الارقام الحقيقية . ثم ان معظم اليهود الذين
يغادرون اسرائيل لا يسجلون كمهاجرين . ان كثيرا